



الجمهورية اللبنانية  
مجلس النواب  
المديرية العامة للدراسات والمعلومات  
مصلحة الأبحاث والدراسات

الحراك المدني

أولاً: المقدمة

يتميز المجتمع المدني في لبنان بخصوصيته النابعة من تعددية انتماءات الشعب اللبناني، وِعوض أن تشكل عنصر قوة للمجتمع اللبناني، شكلت في معظم الأحيان عاملاً انقسامياً. تختلف رؤى المجتمع المدني للمشاكل التي يعاني منها لبنان كلٌّ من زاويته، ورغم ذلك، فقد وُحِّدته إلى حد ما الأزمات المعيشية والاقتصادية التي يعاني منها.

نجح الحراك في تقديم صورة واضحة عن عمق الأزمات التي يعيشها المواطن اللبناني، لكنه لم ينجح في تلمُّس أي سبيل للخروج منها. بالرغم من الشعارات التي كانت محققة، والتظاهر الذي كَفَله القانون، فإن انعدام الخطة الواضحة والموحَّدة والمنظَّمة، وعدم وجود برنامج تصاعدي يبدأ بالأولويات ضمن روزنامة محددة، أفضل النتيجة التي توخاها أصحابها.

وبالرغم من انفتاح المجتمع المدني اللبناني، فإنه لم يستفد من تجارب المجتمعات المدنية في الدول المتحضرة، ويتبين ذلك من خلال استيراده الشعارات من الخارج وعدم تكييفها مع الواقع اللبناني ذو الخصوصية المتميزة.

## ثانياً: دور المجتمع المدني في الأنظمة الديمقراطية ( لبنان نموذجاً )

### ١. النظام السياسي في لبنان

ان النظام الذي اختاره لبنان لنفسه لادارة شؤون الدولة هو النظام الديمقراطي، الذي يرتكز على المبدأ الوارد في الفقرة (د) من مقدمة الدستور التي تعلن أن "الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة يمارسها عبر المؤسسات الدستورية".

وبالرغم من القسم الأخير من هذه الفقرة التي ترسي مبدأ "الديمقراطية التمثيلية"، يبقى أن التعريف العصري للديمقراطية لا يحصرها في عنصر الانتخابات العامة (التي تشكل مصدر الشرعية الأول في تسلسل قيام المؤسسات الدستورية واستمراريتها)، ويعطي المفهوم العصري للديمقراطية دوراً مهماً فيها للمجتمع المدني، في ما بدأ العلم السياسي يدعوه "الديمقراطية الدائمة" التي تقوم على العناصر الأساسية الثلاثة التالية:

- انتخابات دورية، حرة ونزيهة
- حريات مدنية وسياسية متوفرة ومصانة
- مؤسسات الدولة منفتحة وخاضعة للرقابة

### ٢. المجتمع المدني اللبناني: الكيان والدور

ويتجلى دور المجتمع المدني بشكل خاص في العنصر الأخير من عناصر الديمقراطية (أي الرقابة الدائمة على مؤسسات الدولة ومساءلتها). وسوف نستعرض في ما يلي الدور الخاص الذي تضطلع به كل من مؤسسات المجتمع المدني المختلفة: الشركات والجمعيات.

- دور الشركات:

من البديهي التذكير بالدور الكبير الذي تلعبه الشركات ضمن نظام إقتصادي حر في عملية التنمية الاقتصادية في مختلف قطاعاتها (التجارية والصناعية والمالية والزراعية والتربوية والصحية).

لكن الشركات لا تكتفي بأن تلعب دوراً في المجال الاقتصادي، بل تلعب أيضاً دوراً هاماً في المجال السياسي والديمقراطي عبر المؤسسات الاعلامية، التي هي من الشركات.

- دور الجمعيات:

تكمن أهمية الجمعيات بالنسبة الى التنمية المجتمعية والتنمية الديمقراطية الدائمة، في انها تلعب دورا أساسيا في كل من الميادين التالية:

- الجمعيات هي إطار تتم من خلاله تنمية اهتمام المواطن بالشأن العام، وهي تفعل طاقة أفرادها وتهذبها وتوجهها وتؤمن لها الديمومة المؤسسية؛ ومن البديهي القول بأن عمل الجماعة يكون، في أكثر الأحيان، أكثر فعالية من تحرك الأفراد المستقلين.
- الجمعيات هي عماد من أعمدة التطور والنمو الاجتماعي. فخدمات ونشاطات الجمعيات (خاصة تلك التي تعنى بالعمل الاجتماعي) تستجيب بسرعة أكبر وبفعالية أكثر لحاجات المواطنين المتعددة.
- الجمعيات هي من المؤسسات التي تعزز الديمقراطية وثقافتها وتقوي مناعة المجتمع المدني.

### ٣. الواقع اللبناني

إن هموم وانشغالات اللبنانيين المتفاقمة والمورّعة بين الحرب في سوريا وتدايها اللبنانية، وبين شلل المؤسسات الدستورية وانعكاساتها الداخلية ستكون كفيلاً باستمرار الوضع المأزوم.

الدين العام وصل الى عتبة السبعين مليار دولار، والفساد والهدر في الادارات الرسمية لا يخفى على أحد، والانماء غير المتوازن للمناطق اللبنانية واقع مرئي وملمس، وهجرة اللبنانيين في تزايد.

بعد حراكٍ من أجل سلسلة الرتب والرواتب دام نحو سنتين (٢٠١٣-٢٠١٤)، والذي اصطدم بمعوقات حالت دون تنفيذها، جاءت أزمة أخرى تمثلت مؤخراً بانتهاء العقد مع الشركة المعنية بإزالة النفايات ولم يُجدد.

تلكأت الحكومة اللبنانية بالتعاقد مع شركة أخرى، فبقيت النفايات في الطرقات خصوصا في بيروت وضواحيها وما زالت، وفي بعض الأحيان حُرقت في مكانها، وارتبكت الدولة وظهرت بمظهر المهمل لملف النفايات، وتململ المواطنون، لأن بقاء النفايات يسبب الأمراض والأوبئة، وما زالت القضية عالقة والمواطن يدفع من صحته ضريبة هذا التأخير.

## ثالثاً: الحراك المدني

هناك عدة تعريفات للحراك المدني، ولكن جميع هذه التعريفات تُجمع على أن الحراك هو عبارة عن مجموعة من الأشخاص، يقررون تنظيم جهودهم لتحقيق هدف معين، وغالباً ما يكون هذا الهدف تحسين للواقع، وتحقيق لنوع من المساواة الاجتماعية، أو مواجهة ظاهرة قد تكون مسيئة للمجتمع.

إن الحراك لا ينشأ من فراغ، فالظروف الاجتماعية غير المستقرة وحالات القلق الاجتماعي والنفسي تثير تلقائياً الحراك المدني.

فالحراك إذن، هو ردة فعل على واقع اجتماعي وسياسي متردي، وهذا ما حصل في لبنان وتجلّى بالعبارة التالية: صواب بعض شعارات الحراك المدني وقصور متعاقب من قبل الدولة اللبنانية عن حل مشكلات أساسية.

لكن بين الأمرين مساحة للنقاش، ينبغي العمل بها من موقع المواطنة والتبصّر، حفاظاً على أمن الوطن.

## رابعاً: أهم إنجازات وإخفاقات الحراك المدني الأخير

إن مبدأ التظاهر السلمي وحرية التعبير عن الرأي ضمن إطار القوانين المرعية الإجراء، والمكفولة أساساً في الدستور اللبناني، هو مبدأ مقدس جعل من الحراك يحقق بعض الانجازات، كما أوقعه أيضاً في بعض الاخفاقات، وسنذكرها تباعاً:

أ- الانجازات:

- ان مجرد الوقوف لمواجهة الحكومة لمحاسبتها عن أخطائها يعتبر انجازاً، خاصة أن هذا الحراك لم يوفر أحداً من السلطة القائمة من خلال شعاراته ونداءاته التي اتهم فيها معظم رجال السلطة بالتقصير والاهمال.

- كان الحراك عابراً للطوائف وشبابياً ما استقطب وجذب العديد من المواطنين الغاضبين والناقمين على أداء الحكومة.

- فيما خص موضوع النفايات، فقد حقق الحراك إنجازاً بإبطال عروض المناقصات التي تراجع عنها مجلس الوزراء، إضافة الى المشاركة بخطة الوزير أكرم شهيب، مروراً بالضغط من

أجل تحرير أموال البلديات وإعادة إحياء فكرة اللامركزية الادارية الانمائية.

- إن غالبية الشعارات المرفوعة في الحراك كانت شعارات محقة، أكانت المطالبة بتحسين الوضع الاجتماعي، أزمة النفايات، محاربة الفساد، أزمة الماء والكهرباء المزمنتين، والمطالبة بالشفافية والمساءلة والمحاسبة، والبطالة وغيرها من المطالب المحقة ...

ب- الاخفاقات:

- فشل الحراك المدني باحترام مبدأ التظاهر السلمي من خلال الإخلال بالأمن وتعريض الاستقرار والسلم الأهلي الى الاهتزاز، والاعتداء على الأملاك العامة والخاصة، بما فيها المحاولات الحثيثة لاقتحام الأملاك العامة والمباني والادارات الحكومية.

- الاساءة الشخصية لبعض الرموز السياسية، والتي بدت كأنها محاولات مقصودة من أجل إثارة بعض النعرات الطائفية والحزبية.

- بعض الشعارات التي رُفعت كانت تتم عن إنفعال بعض من كان من ضمن الحراك، كشعار إسقاط النظام الذي لا يمت للواقعية السياسية بصلة، فالأحرى كان، أن ينادى بتطبيق النظام، فالنظام القائم في لبنان من حيث النصوص الموضوعه هو الأنسب للبنان، غير أن عملية التطبيق هي الخاطئة، سواء فيما يتعلق بالدستور أو بأبسط القوانين. إضافة الى أن المناداة بإسقاط الحكومة دون انتخاب رئيس للجمهورية، هو انتحار سياسي للبنان ككل.

- أحد إخفاقات الحراك المدني، هو التعرض لقوى الأمن والجيش اللبناني، وما يستتبع ذلك من كسر لهيبة الأمن اللبناني، وهذا ما يمنعه ويعاقب عليه القانون.

- عدم وضع صيغة وطنية مقبولة للمطالب المحقة: فرفع سقف المطالب دون اعتماد المد والجزر في التفاوض بمطالب تصاعدية تراتبية واقعية ومنطقية ضمن القدرات الوطنية المتاحة، أفضل أهداف الحراك.

### خامسا: الخاتمة

بعد توصيف الوضع القائم، فإن الحراك المدني والتحرك المقابل من قبل الدولة أثبت عقم الأزمة.

ما جرى يؤكد أن التناقض بين الحراك والتحرك المقابل لم يفض إلى نتائج ملموسة وإيجابية، ويمكن وصف الحوار بين الطرفين بحوار طرشان.

لذا، على الحراك محاكاة المطالب العيشية الطارئة والمستحقة بتراتبية منطقية وبتحركات تحول دون الإخلال بالأمن والاستقرار، وعلى الحكومة اللبنانية الإصغاء إلى هذه المطالب الواضحة المعروفة والملحة، والعمل قدر المستطاع لتلبيتها، رغم الظروف التي يمر بها لبنان، لأنها تعبّر عن وجع المواطنين، وإنها مطالب بديهية عابرة للطوائف وبالتالي للشعب اللبناني بأكمله، ويعكس تراكمها وضعاً اقتصادياً مزمياً.

اعداد: خالد فرج

#### مصادر:

- ميشال عقل، "قراءة في الحراك المدني وتداعياته"، جريدة "السفير"، ١٧/١٠/٢٠١٥.
- ندين البلعة خيرالله، "سيكولوجيا التظاهرات والتحركات الشعبية"، مجلة "الجيش"، العدد ٣٦٥، تشرين الثاني ٢٠١٥.
- حبيب فياض، "أفول الحراك المدني"، جريدة "السفير"، ١٣/١٠/٢٠١٥.
- هيثم عربيد، "الحراك المدني وخطى النجاح المتلاشية والمهدورة"، جريدة "الأنباء"، ١٣/١٠/٢٠١٥.
- ناديا الياس، "الحراك المدني في الشارع اللبناني بين حرية التعبير والفوضى المنظمة"، جريدة "القدس العربي"، ١٩/٠٩/٢٠١٥.
- النائب د. غسان مخيبر، "المجتمع المدني (ماذا، لماذا، كيف)"، موقع د. غسان مخيبر الإلكتروني.
- حلیم شبيعة، "الحراك المدني والسلطة: صراع ثقافات؟"، جريدة "النهار"، ٢٠/١٠/٢٠١٥.
- العميد م. منير عقيقي، "حراك" و"تحرك"، مجلة "الأمن العام"، وموقع لبيانون فايلز الإلكتروني، ١٥/١٠/٢٠١٥.